Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

The crisis of Arab culture and its relationship to political globalization between "Mahdi Al-Manjara" and "Mustafa Al-Nashar"

Thanaa Abdul Rashid Mohamed Ibrahim

Assistant Professor of Political Philosophy, Faculty of Arts in Qena - South Valley University

thnam187@gmail.com

Article History
Received: 3 August 2023, Revised: 18 August 2023
Accepted: 10 September 2023, Published: 1 October 2023
DOI: 10.21608/JSSA.2024.246813.1568

https://jssa.journals.ekb.eg/article246813.html

Volume 24 Issue 8 (2023) Pp.1-22

Abstract:

The research aims to present a realistic, forward-looking vision about the reality of Arab culture and its relationship to political globalization, by reading the thoughts of two of the most prominent contemporary thinkers: the first is the Moroccan thinker "Mahdi Al-Manjara" and the second is the Egyptian thinker "Mustafa Al-Nashar," about the state of Arab and Islamic culture, and how far the Arab intellectual is suffering from this crisis, which is Subordination to Western culture, under the influence of the dominant culture - the brutal culture of globalization that seeks to conquer the cultures of the people of the world, and which has been reduced to American culture - as our thinkers denounced the refusal to submit to the values of democracy and subordination,...etc. They developed mechanisms to determine the causes of the Arab cultural crisis and its paths, and how to get out of it through successful practical solutions through the two principles: confrontation and conservatism. The critical analytical approach was used to analyze the vision of these two thinkers towards the crisis and then trying to criticize it whenever necessary.

Keywords: **Al-Minjarah, Al-Nashar, the crisis of culture, Brutal hegemony, the Arab vision, Civilizational War, Globalization.**

أزمة الثقافة العربية وعلاقتها بالعولمة السياسية بين "الْمَهدِي الْمَنْجَرَة" و"مُصْطَفَى النَّشَّار"

د/ ثناء عبد الرشيد محمد إبراهيم

أستاذ مساعد الفلسفة السياسية بكلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي

thnam187@gmail.com

الملخص:-

يهدف البحث إلى تقديم رؤية واقعية استشرافية عن واقع الثقافة العربية وعلاقتها بالعولمة السياسية قراءة في فكر اثنين من أبرز المفكرين المعاصرين: الأول، المفكر المغربي "المهدي المنجرة" والثاني المفكر المصري "مصطفي النَّشَّار" حول وضع الثقافة العربية والإسلامية، ومدى معاناة المثَّقف العربي من أزمة التَّبعيّة للثَّقافة الغربية، تحت تأثير الثقافة الغالبة- ثقافة العولمة المتوحشة التي تسعى لقهر ثقافات كل شعوب العالم، والتي تم اختزالها في الثقافة الأمريكية- كما ندَّد مفكرينا برفض الانصياع لقيم الديمقراطية والتبعية،...إلخ. وقاما بوضع آليات لتحديد أسباب الأزمة الثقافية العربية ومساراتها، وكيفية الخروج منها عن طريق الحلول العملية الناجحة من خلال مبدأيّ: المواجهة والمحافظة. وقد تم استخدام المنهج التحليلي النقدي؛ حيث تحليل رؤية هذين المفكرين تجاه الأزمة، ثم محاولة نقدها كلما استدعى الأمر ذلك.

الكلمات المفتاحية: المنجرة، النشار، أزمة الثقافة، الهيمنة المتوحشة، الرؤية العربية، الحرب الحضارية، العولمة.

مقدمة:

انطلق المفكران العظيمان "المنجرة" و"النشَّار" في تشخيصهما للأزمة منطلقًا فلسفيًا، يتسم بالعمق، والشمولية في محاولتهما الفريدة لتشخيص أزمة ركود الأمة العربية والإسلامية، فلم تقتصر رؤيتهما على منظور جزئي معين، بل نظرة شمولية تشخيصية كالطبيب الذي أمسك بِالْمِبْضَعِ ليستأصل أمراض الأمة من شأفتها ويقتلعها من جذورها، بعد أن قام بتشخيص المرض، ومعرفة أعراضه وأسبابه، واللذان وجداه في أسباب كثيرة منها: العولمة المتوحشة التي تسعى لقهر ثقافات كل شعوب العالم، وتختزلها في الثقافة الأمريكية، وهذا ما دفعهما لتقديم العلاج الناجح، الذي يمكن من خلاله تحقيق المُبتَغى، وذلك بأن تَستنهِض الأمة حركتها، وتعود لها ريادتها وصدارتها، بحيث جعلا للمثقفين العرب دورًا عظيمًا في حركة النهوض، التي ناديا بها، والنصيب الأكبر وحمَّلهم العبء الأعظم.

لقد تمثَّلت أهمية الدراسة في عاملين رئيسين لاختيار شخصيات البحث:

الأول: المفكر المغربي "المهدي المنجرة" (١٣ مارس ١٩٣٣ – ١٣ يونيو ٢٠١٤) لما له من مسيرة علميّة، وجهود فكريّة، وعقلية فلسفية فريدة، حيث يصفه أحد تلامِيذه المخلصين له ولفكره قلبًا وقالبًا الدكتور عبد الحميد بناني بقوله:" البروفسور المهدي المنجرة هو المفكر الوحيد الذي لم يكتف باستشراف مستقبل العالم العربي والإسلامي فحسب، بل استشرف كذلك مستقبل العالم وحدَّد وبدقة مثيرة السيناريوهات الممكنة. كما أن جُلَّ استشرافاته تبلورت على أرض الواقع بعد انتهاء المدة الزمنية التي حددها سالفًا. وقد برز بشكل لافت كرافد من روافد الإنسانية؛ حيث انتقل تدريجيًا من ذاتٍ عالمةٍ إلى مؤسسةٍ علميةٍ قائمةٍ بذاتها، ومن عالِمٍ إلى مُلتَقى عوالم. (إيطاليا تلغراف ٢٠٢٠)

أما الثاني، فهو المفكر المصري الأستاذ الدكتور "مصطفى النشار" (٣٠ سبتمبر ١٩٥٣ –.....) لاهتمامه الواضح بأزمة الثقافة وعلاقتها بالعولمة، وتعرضه لعصر ما بعد العولمة والتفاعل الحضاري، وخاصة أنه يعيش في فترة التقدم التكنولوجي الذي ازدادت فيه أزمة الثقافة العربية، وازدادت فيها الدعوات للنزعة التغريبية.

أما عن أسباب اختيار الموضوع؛ فيرجع إلى أن الثقافة العربية والإسلامية كانت محورًا مركزيًا في كتابات كل من: "المنجرة"، و"النشار" ليس هذا فحسب، بل إن أهم ما يُميزَهما في كتاباتهما اعتزازهما بقيم ثقافتهما التي ظلَّوا وما زالوا يدافعون عنها في الشرق والغرب، وهذا ما جعل الغربيون أنفسهم يَعُدُّونَ "المنجرة" من أهم مفكري العالم الثالث، ومرجعًا مهمًا في المستقبليات. بالإضافة إلى أن الدكتور "النشار" شهد له القاصي والداني بسعة أفقه وعظيم طرحه، ومعالجته لمشكلات أمَّته، ودوره في الخروج من أزماتها وتوعية شبابها. علاوة على ذلك، دفاعهما عن القيم، ودورهما كعنصرٍ أساسٍ في بناء أية حضارة، فقد كان مفكرينا منفتحين على جميع الثقافات، فكانا كشجرةٍ ثابتةٍ أصولها متجذرّة في الثقافة العربية الإسلامية، وفروعها ممتَّدة ومنفتحة على الثقافات العالمية الأخرى. (بوخاري ٢٠١٧)

لذا جاء بحثنا ليسلط الضوء علي موضوعات مهمة: منها علاقة الحضارة الغربية ببلاد الشرق العربي والإسلامي، ثقافيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا،....إلخ، وبخاصة الناحية الثقافية من منظور فلسفي ولا سيما أزمة الثقافة وعلاقتها بالعولمة الثقافية وسيقتصر طرحنا على العولمة السياسية موضوع البحث؛ حتى لا يتشعب البحث في مشكلات عدة.

كما أن الثقافة في معناها الإثنولوجي الأكثر اتساعًا، تعني الكل المركب الذي يشمل: المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع. (كوش ٢٠٠٧)

على هذا الأساس جاءت إشكالية البحث في التساؤل الرئيس التالي: كيف رأى المفكرين "المنجرة" و"النشار" أزمة الثقافة في عالمنا العربي؟ والذي تتفرع عنه عدة تساؤلات أهمها:

كيف استطاع "المنجرة" و"النشار" أن يُشخِّصَا تلك الأزمة الثقافية في عالمنا العربي؟

ما أسباب أزمة الثقافة في عالمنا العربي من وجهة نظر "المنجرة" و"النشار"؟

ما مسارات تلك الأزمة أو إلى أين تتجه؟

ما مخاطر أزمة الثقافة على هويتنا العربية والإسلامية في رأيهما؟

ما الحلول العملية التي قدَّماها للخروج من مأزق هذه الأزمة التي ترتبت عليها أزمات شتَّى؟

ما مآلات تلك الحلول وعواقبها في عصرنا الراهن؟ أو هل تحققت نبوءة "المنجرة" و"النشار"؟ وهل نجحنا في تجاوز تلك الأزمة أم لا؟ وهل اتفق مفكرينا في طرحهم للإشكالية في تشخيص الأسباب وتقديم الحلول وهل اتفق النشار مع ما تنبأ به المنجرة من مستقبل الثقافة العربية أم اختلف معه؟ كل هذه التساؤلات جاءت في إطار المنهج التحليلي النقدي حيث تحليل رؤية مفكرينا تجاه الأزمة ثم محاولة نقدها كلما استدعى الأمر ذلك.

وهذا ما ستوضحه الدراسة بالتفصيل على النحو الآتي:

أولًا، تشخيصُ العَرَضِ لمعرفةِ المرضِ (أزمة الوضع العربي الراهن):

لا يخفى على عاقل أن الوضع العربي والإسلامي يعاني من عدة اختلالات سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وأخلاقية نتجت عن تراكم الأخطاء والانهزامات والتراجعات، مما أطلق مسلسل إحباطات ما فتئت تتفاقم، ما جعل الدكتور "المنجرة" يطرح موقفه الصارم والنقدي لمختلف هذه الاختلالات التي وقع فيها العالم العربي (حرب الخليج الأولى والثانية، **دور المثقف**، أزمة التعليم، قضية فلسطين، الأزمة الجزائرية، حوار الشمال والجنوب، ...)، محللًا المواقف، ومعينًا بجرأة أسباب الأزمة والمسئولين عنها، راسمًا سيناريوهات المستقبل في الوطن العربي. (م. المنجرة ٢٠١١)

وقد أكدَّ "المنجرة" على هذه الأزمات التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية، حين أخذ يُشَخِّص أزمة الوضع العربي الراهن بقوله:" إن صورة الأوضاع العربية هي صورة قاتمة؛ لأن صانعيها هم رجال الأنظمة العربية على امتداد القرن العشرين... ثم يأتي بمثال من الواقع يقول فيه: لنبدأ من قضية فلسطين وما قبلها، أي من اللحظة التي قبلت فيها الدول العربية تقسيم فلسطين، وصولًا إلى الاستسلام العربي المعلن في مؤتمر مدريد ونتساءل: منْ كان وراء هذه الانتكاسات التاريخية؟ أليسوا هم الحكَّام والنخب السياسية التقليدية والرجعية العربية؟... إن كل الأزمات يمكنني أن ألخِّصها في أزمةٍ واحدةٍ تتمثَّل في غياب رؤية عربية؛ فالرؤية القومية فشلت في تقديم نموذج تنموي، أما الأنظمة العربية الأخرى فقد ظلَّت تشكو عقدة مُزمِنة، هي عقدة الخوف من شعوبها، ولذلك كانت استراتيجيتها تقوم على الهاجس الأمني، فراحت تقوّي نفوذ النُّخبِ الأمنيّة على حساب النخبة السياسية، والاقتصادية، والفكرية الفاعلة، فصارت الشعوب العربية كلها تحت أنظمة عسكرية أو شبه عسكرية. ولذلك فإن أي محاولة للتفكير في تقديم رؤية ما تبقى مُعطَّلة، تستعيض عنها هذه الأنظمة بخلق تجارب ديمقراطية مُصطنعة تخفي وراءها صورة نظام فاشستي عصري قائم على إرادات مافيا نخبوية تحافظ على مصالح الاستعمار القديم، وتسلِّم بلدانها لنظام استعماري جديد ينهب خيراتها ويسيطر على مواردها" (م. المنجرة ٢٠١١)

كل هذا يعني، في نظر المنجرة، أن فكرة دمج الثقافة كعنصر من مكونات السياسات التنموية، في العالم الثالث، لم تشهد ذلك اليوم بعد. ((Elmandjra (June, 2004)

إن غياب الرؤية العربية والإسلامية الاستشرافية- على كافة الأصعدة وبالأخص الثقافية- لمستقبل أمتنا هي السبب الرئيس في تخلفنا؛ فمن لا يخطط لمستقبله سوف يكون رهن المفاجآت والأهواء التي تتقاذفه من كل جهة، وبالتالي، ضياع الحاضر والمستقبل معًا.

بناءً على ما سبق استطاع "المنجرة"، من خلال خبراته المتعددة ورؤيته الاستشرافية الساطعة والناصعة، أن يؤكد على أن الحرب القادمة- والتي نعيشها الآن- هي حرب حضارية ثقافية؛ من أجل القضاء على العالم العربي والإسلامي، والتي ستكون من خلال السعي لانتشال هويتنا العربية والإسلامية الثقافية من جذورها، وإحلال الهوية والثقافة الغربية محلها، وهي ما أسماها "حرب القيم". تلك الحرب التي تُدار رحاها من خلال دسِّ السُمَّ في العسل، أي باسم مصطلحات رنَّانة؛ كالعولمة، والتعددية الثقافية، ونشر قيم السلام العالمي،... وغيرها.

مع تعدُّدِ صور الأزمات التي لحقت بنا، يمكننا هنا الانتقال من العام إلى الخاص، وذلك من خلال صبِّ جُلَّ تركيزنا على أزمة الثقافة ولا سيما دور المثقف، وكيف احتلَّ الغرب الأمريكي، عبر عولمته المتوحشة، عقل المثقف العربي فكريًا ومعنويًا، بعدما باءت محاولاته احتلال الشعوب العربية عسكريًا وماديًا بالفشل رغم طول مدتها زمانيًا!

أما المفكر المصري "النَّشَّار" فقد عرض للثقافة في كتابه في فلسفة الثقافة (م. النشار ٢٠٠٠) : بأنها ما يُشكِّل الوجدان الفردي والجماعي، والدافعية لسلوكهم على نحو معين، وهي تُشكِّل الضمير الذاتي، وأن لكل ثقافة تاريخها ووعيها التاريخي المستقل، وأن العمق التاريخي دليل على أصالة الثقافة وصمودها وقدرتها على التجدد والانفتاح والتفاعل مع الثقافات الأخرى. ويحدد خصائص تلك الثقافة بأن أفرادها يؤمنون بصورة دينية محددة حول الكون، وخلق العالم، والعلاقة بين الإنسان والعالم، كما يوازنون بين المطالب الدينية والدنيوية ومطالب المجتمع ومطالب الفرد، كما يتمتع أفرادها بالإبداع والابتكار، ولا يضع المجتمع قيودًا أمام أفرادها، وهي ثقافة تحترم العدالة وتقدسها، وينتهي "النشار" إلى أن الثقافة المتحضرة هي التي يؤمن أفرادها بأنهم ليسوا جديرين بصنع السعادة والحياة الأفضل لنفسهم فقط، بل يصنعونها لأبناء وطنهم وللبشرية جميعًا. (م. النشار ٢٠٠٠)

ثم يحلل "مصطفى النَّشَّار" واقع الثقافة العربية وعلاقتها بالعولمة معرفًا أولًا العولمة بأنها: "صبغ العالم بصبغة واحدة في أي مجال من المجالات، أى أن يتقارب البشر ويذوب بينهم الفوارق في الفكر، واللغة، والمعتقدات، وأشكال الأزياء، وصور التبادل التجاري والصناعي..إلخ". ثم يطرح آليات العولمة في ظهور الاختراعات التي ألغت الفواصل الزمنية والحواجز المكانية بين البشر، وسيولة المعلومات وتدفقها المذهل بين قارات العالم وبلدانه المختلفة والمواثيق والمعاهدات الدولية التي تنظم حركة العولمة اقتصاديا، ومن أبرز ملامح تلك الثقافة المعولمة الاعتقاد بحرية الإنسان في ممارسة حقوقه الطبيعية وهو واجب على الحكومات حمايته، ومن مظاهر تلك الثقافة التحدث بلغة أجنبية إلى جانب لغتهم ونماذج موحدة من الأزياء. (م. النشار ٢٠٠٠) ص ٥٧

وينبّه "النَّشار" إلى أن العولمة الثقافية بنشرها لنموذجها الغربي الموحَّد يثير غيرة وكراهية الحضارات الأخرى التي لا ترضى تلك التبعية؛ فيخرج منهم الرافض والكاره لهذا النمط الغربي المعولم رافضين النظرة الاستعلائية للغرب مناديًا بضرورة التمييز بين ظاهر الأمر وباطنه؛ فالظاهر يوحي بأننا نعيش عصر ثقافة العولمة، أما الباطن فيشير إلى وجود الثقافات الوطنية للشعوب المعتزَّة بثقافتها المتمسكة بقيمها محللًا عوائق العولمة الثقافية مؤكدًا أن التقارب الثقافي الحادث بين مواطني العالم كان نتيجة أمرين: الأول، الوسائل الحديثة التي سهلت الحوار والتلاقي بين الثقافات وجعلته سهلًا

ميسورًا، والثاني، أن لكل حضارة عناصرها التي لا يختلف حولها البشر وأهمها احترام الإنسان وحقوقه الطبيعية وتحقيق العدالة بين الأفراد في ظل قانون يحترمه الجميع. (م. النشار ٢٠٠٠)

وهذه العناصر وإن كانت مستحدثة بالنسبة لثقافة الغرب فإنها عريقة تمتد لقرون ما قبل الميلاد لشعوبنا، هكذا يؤكد "النشار" علي التقارب الثقافي بين شعوب العالم مع صعوبة أن تتوحد وتنصهر ثقافات العالم في ثقافة مشتركة واحدة لعدة أسباب: أن الثقافة التي يريد الغرب تعميمها هي ثقافة مادية في جوهرها ولا تستقيم حياة الإنسان وفقًا لها؛ لأن بها أوجه قصور ولا سيما أن فلاسفة الغرب قد حذروا من سيادة النموذج الغربي التقليدي، بل حذروا بانهيار الحضارة الغربية ككل (نصر ٢٠٠٦)

إن الثقافة المعولمة لا تستطيع النفاذ إلى الأفراد والشعوب إلا من خلال عقولهم وضمائرهم وإراداتهم الواعية، وهذا أمر صعب علي العربي الذي يملك عادات، وتقاليد، وتراث ثقافي، وزاد حضاري مستقل.

ولكن كيف كانت البدايات الأولى لتلك الأزمة الثقافية في عالمنا العربي؟ هذا السؤال يدفعنا للبحث عن أسباب الأزمة من خلال العنصر الآتي:

ثانيًا، أسباب أزمة الثَّقافة في عصرنا الحالي:

بالسؤال عن أسباب أزمة الثَّقافة في عصرنا الحالي، وخاصة في عالمنا العربي والإسلامي، يمكننا صياغة السؤال بطريقة أخرى: كيف استطاع مفكرينا أن يُشخِّصَا الأزمة الثقافية في عالمنا العربي؟

أ- من وجهة نظر "المنجرة":

لخَّص "المنجرة" أسباب أزمة الثقافة في أمرين أساسيين:

الأول، رغبة الغرب في فرض هيمنته وثقافته الاحتلالية الاستعلائية الغاشمة من خلال العولمة المتوحشة.

الآخر، استسلامنا لثقافة الغرب، ونظرتنا الدونيّة لأنفسنا، والتقديسية للغرب.

ظهرت بوادر السبب الأول- على حسب فكر المنجرة- في الأربعينيات من القرن العشرين، منذ ملاحظته الثاقبة وهو طفل صغير يلعب في أحد شوارع مدينة "الرباط" حين انتبه "المنجرة" إلى أنماط السلوك البشري، وما يُتحكَّم فيها من مرجعيات ثقافيّة مختلفة. حيث تصادف وجود الصبي في أحد مقاهي المدينة ليشاهد ما تعرَّض له "ماسح أحذية مغربي" من صفع وإهانة على يد "مالك المقهى الفرنسي" بتحريض من زبائن فرنسيين. منذ هذه اللحظة ووعي الصبي النابِّه جعله ينتبه مبكرًا إلى مسألة الصراع بين الاستعمار [الاحتلال] وما يمثِّله من ثقافة استعلائيّة، وطبيعة الشعوب المقهورة وما يُفرض عليها من إهانات تتعلق بالموقف الثقافي بأكثر مما تتعلق بالاستغلال. ثم يتأكد لديه ذلك الشعور وهو في الخامسة عشرة عندما كان يسبح مع أقرانه في "أفران" حين اعترضت سيدة فرنسية على السماح لكلب بالدخول والشرب من ماء المسبَح، وإذا برجلٍ فرنسي يرد عليها قائلًا: "إذا كنا نسمح للعرب بالدخول، فلماذا نمنع الكلاب؟!" ولم يقبل الفتى الغضُّ تلك الإهانة، فيرد على الرجل بعباراتٍ قاسيةٍ، فإذا بالرجل الذي سيعرف "المنجرة" أنه رئيس شرطة "أفران" يُلقي القبض عليه، ويحبسه لمدة عشرة أيام قبل أن يفلح والده في إخراجه. (الشيال ٢٠١٥)

أما بالنسبة للسبب الآخر، فقد نحَتَ "المنجرة" مصطلحاته التي تعبر عن تبعيتنا للثقافة الغربية، ونظرتنا الدونيّة لأنفسنا، وتقديسنا للثقافة الغربية الاحتلالية، والتي منها: "الذُلقراطية"، و"الخوفقراطية" أو "الرهابقراطية"، و"التفقيرقراطية"، و"الجهلقراطية"، و"الكذبوقراطية"، و"الشيخوخقراطية". (زكير ٢٠١٩)

إن كل هذه المصطلحات التي أطلقها "المنجرة" على حالنا وواقعنا الأليم إن هي إلا امتداد لما ذكره "ابن خلدون (٢٧ مايو ١٣٣٢ : ١٩ مارس ١٤٠٦م)" في الفصل الثالث والعشرين من مقدمته الشهيرة بقوله:" في أنَّ المغلوبَ مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب في: شِعاره، وزيِّه، ونِحلته، وسائر أحواله وعوائده؛ والسّبب في ذلك أنّ النّفس أبدًا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه؛ إمّا لنظره بالكمال بما وقرَ عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أنّ انقيادها ليس لغلب طبيعيّ، إنّما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتّصل لها اعتقادًا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به، وذلك هو الاقتداء، أو لما تراه- والله أعلم- من أنّ غلب الغالب لها ليس بعصبيّة ولا قوّة بأس، وإنّما هو بما انتحلته من العوائد، والمذاهب تغالط أيضًا بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأوّل، ولذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدًا بالغالب في ملبسه، ومركبه، وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبّهين بهم دائمًا، وما ذلك إلّا لاعتقادهم الكمال فيهم، وانظر إلى كلّ قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زيّ الحامية وجند السّلطان في الأكثر؛ لأنّهم الغالبون لهم، حتّى أنّه إذا كانت أمّة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التّشبّه والاقتداء حظّ كبير كما هو في الأندلس، لهذا العهد مع أمم الجلالقة فإنّك تجدهم يتشبّهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتّى في رسم التّماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتّى لقد يستشعر من ذلك النّاظر بعين الحكمة أنّه من علامات الاستيلاء والأمر لله. وتأمّل في هذا سرّ قولهم العامّة على دين الملك فإنّه من بابه إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرّعيّة مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلّمين بمعلّميهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التّوفيق" (بن خلدون ٢٠١٣)

ب- من وجهة نظر "النَّشار"

أما "النَّشار" فيبدأ بالإدلاء برأيه في الثقافة الغربية مؤكدًا أنها ثقافة البعد الواحد وأنها عرجاء لأنها تسير علي قدم واحدة هي (العقل -العلم) وهناك ثقافات أخرى عديدة نقول عنها إنها ثقافات وجدانية غير علمية، وأن الثقافة المتكاملة هي التي يستخدم أفرادها الأداتين معًا في المعرفة والمتعة، فالفرد فيها يفكر في حياته العملية والعلمية بعقله مستخدمًا كل آليات التفكير الاستدلالي العلمي وهو في حياته الروحية يلبي مطالب نفسه وقلبه بالاستمتاع الوجداني بتذوق الفنون الرقيقة والآداب الراقية، ولا تعارض بين هذا وذاك بل بهما تكتمل إنسانية الإنسان وتنمو قدراته الإبداعية وتتحقق سعادته المتوازنه دون إفراط أو تفريط. (م. النشار ٢٠٠٠)

ويتابع "النَّشار" حديثه عن الثقافة الغربية متسائلًا: هل العولمة الثقافية التي يتجه إليها العالم الآن ممكنة، وما هي النتائج المترتبة علي وجودها؟ للإجابة يبدأ بتعريف العولمة الثقافية بأنها: التقارب الذي يحدث بين ثقافات شعوب العالم المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينها وصهرها جميعًا في بوتقه واحدة، وذات خصائص مشتركة ويتابع أن هذه الآليات زادت مؤخرًا لدرجة أصبح الإنسان في أي مكان في العالم خاضعًا لها عبر وسائل الإعلام المختلفة، ولكن هل معني ذلك أن يتوحد البشر في ثقافة واحدة ذات ملامح مشتركة بالفعل؟ يجيب قائلًا: إن ظاهر الأمر يشير إلى أن البشرية تتجه بالفعل في ثقافتها المعاصرة إلى الاعتقاد بملامح عامة تميز ثقافة إنسان في نهاية هذا القرن [القرن العشرين] وبداية القرن القادم [القرن الحادي والعشرين] وأبرز هذه الملامح الاتفاق حول حرية العقيدة، والرأي، والفعل، وضرورة المحافظة علي حقوق الإنسان، واتجاه الناس إلى التحدث بلغة أجنبية إلى جانب لغتهم المحلية. بالإضافة إلى اتجاه الناس إلى تقدير المنافع الذاتية على حساب مصلحة المجتمع. هذه جميعًا أصبحت مظاهر عامة لثقافة الناس في جهات العالم

الأربع ولكن إن دققنا النظر سنجد أمرين: الأول، أن هذه العناصر السابقة هي عناصر ثقافة الغرب الرأسمالي التي نجحت الحركات الاستعمارية في الماضي، ووسائل الإعلام الغربية في الحاضر أن تصورها لنا على أنها لا غنى عنها للثقافة الإنسانية ولا تحضر بدونها. الثاني، أن هذه العناصر رغم تغلغلها الواضح علي معظم البشر في أرجاء العالم إلا أننا نلمح التململ الواضح لدى شعوب العالم غير الغربي من هذا التغلغل ورفضهم لهذا النفوذ، وتلك الهيمنة التي تفرضها عليهم الثقافة الغربية. (م. النشار ٢٠٠٠)

أضف إلى ما سبق أن "النَّشار" لخص أسباب أزمتنا في كتابه الأورجانون العربي للمستقبل، وأرجعها إلى الآتي:

١- غياب الإرادة الجماعية.

٢- التخلف الاجتماعي

٣- غياب العدالة وغياب النظام

٤- انهيار سلم القيم العربية التقليدي

٥- غياب الثقافة العلمية

٦- غلبة الأقوال على الأفعال

٧- إهدار طاقات الشباب وعرقلة حركة الأجيال

٨- عدم الإحساس بالوقت وقيمة الزمن

٩- إهمال اللغة العربية (لغتنا القومية) في الدرس والبحث العلمي

١٠- تدني مكانة المفكرين والعلماء العرب (م. النشار ٢٠١٤)

وقد كان أستاذنا المفكر القدير "النَّشار" صادقًا ومخلصًا لأمته ولدينه في كل ما ذكر، ولا تجد الباحثة إلا أن تؤيده تمام التأييد؛ لأنه عبر عن ما بداخل كل مواطن عربي حر وأصيل بمنتهى القوة والشجاعة، والموضوعية والحيادية وعدم التحيز والتعصب كما يفعل مفكروا الغرب تجاه حضارتهم.

ثالثًا، مسارات أزمة الثقافة العربية والإسلامية ومخاطر العولمة عليها:

لقد تعددت مسارات أزمة الثقافة من وجهة نظر مفكرينا والتي تسببت في دخولها دوامة المخاطر المتعددة، والتي كان من أهمها هذان المساران اللذين يسيران في خطين متوازيين:

١- مسارات أزمة الثقافة العربية والإسلامية:

اتخذت أزمة الثقافة العربية والإسلامية مسارين مختلفين هما:

(أ) تقزيم الثَّقافة العربية والإسلامية وتبعيتها للعولمة الغربية:

لقد عرَّى "المنجرة" الحضارة الغربية، وكشف زيف خِداعها وأكاذيبها في محاولتها الهيمنة على القيم والثقافة العربية والإسلامية، من خلال كتابه القيّم (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧)، والذي عرض فيه لعلاقة القيم بالمجتمع، ودور المنظمات الدولية في التنمية، وكيف أن أزمة عالمنا العربي الحقيقية هي أزمة في القيم، كما تعرَّض لمستقبل الإسلام في

أوربا، ودعوى الثقافة الكونية الجديدة التي تنشدها أمريكا، بالإضافة إلى تأكيده أن أخطر الإرهاب إرهاب الدولة لشعبها، وإرهاب الدول العظمى للدول الفقيرة والنامية (ا. المنجرة ٢٠١٤)

ظهر ذلك جليّا في محاولات بلاد الغرب هيمنتها على العالم الشرقي، وكان أحد أهم وسائلها في ذلك الاستشراق الذي استخدمته للنفاذ إلى ثقافتنا واختراقها. لذا يُعد الفكر الاستشراقي أخطر أنواع الفكر تأثيرًا على الفكر الإسلامي؛ فعن طريقه انتقلت الأفكار والمذاهب الغربية خلال القرنين الأخيرين [القرن التاسع عشر والعشرين] ووجدت لها مكانًا في الحياة الثقافية الإسلامية. ونظرًا لتعدد مذاهب المستشرقين وأيديولوجياتهم فقد تعددت أشكال الغزو الفكري، وتنوعت الاتجاهات الفكرية، وكثرت المذاهب التي ازدحمت بها الساحة الفكرية في العالم الإسلامي مثل: الشيوعية، والإشتراكية، والعلمانية، والرأسمالية، والقومية، والليبرالية، وغيرها من المذاهب التي سيطرت على قطاعات عريضة من المفكرين والمثقفين في العالم العربي والإسلامي. (خليفة ١٩٩٧)

أوضح "المنجرة" أن ظروف الاستعمار وتأثير المستشرقين و"المثقفين المرتزقة" في البلاد الإسلامية، الذين يبيعون أنفسهم ويخدمون في إطار الحملة ضد العالم الإسلامي، حمَّلنا كثيرًا من الأخطاء والتقويمات غير السليمة (المنجرة. ١٩٩٥)

إن كتابات المستشرقين ومقالاتهم ودراساتهم كلها، مكتوبة أصلًا للمثقف الأوربي وحده لا لغيره، وأنها كُتبت له لهدف معين، في زمان معين، وبأسلوب معين، لا يراد بها الوصول إلى الحقيقة المجرَّدة، بل الوصول الموفق إلى حماية عقل هذا الأوربي المثقف من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يؤمن بها. (شاكر ١٩٩٧)

من ثمَّ فإلى جانب عمل الغزو الفكري على حماية المثقف الغربي، طَالَبَ أمتنا بالتخلي عن تميزها الحضاري وتبنِّي النموذج الغربي في التقدم والنهضة والتحديث،... أي جاء طالبًا منا التخلي عن التعددية الحضارية، والإيمان بواحدية الحضارة بدلًا من تعدديّتها. (عمارة ١٩٩٧)

كل هذا أدى إلى زيادة قدرة الغرب على النجاح في تغيير ثقافة العالم الإسلامي بعد أن عرف مواطن ضعفه وقوته، بالإضافة إلى السعي الدؤوب لتنفيذ خُططه باحتلال العالم الإسلامي فكريًا وثقافيًا، حتى أصبح تابعًا للغرب ومقلدًا لثقافته وفكره. أقرب مثال على ذلك ما فعله اللورد كرومر في الثقافة المصرية.

على صعيد آخر، يؤكد "المنجرة" على أن الثقافة لا يمكن نقلها بشكل أعمى إلى مناطق أخرى من العالم، دون اعتبار واحترام لقيم هذه المناطق، كما أنه لا يمكن أبدًا استنساخ الثقافات، فهي تستطيع أن تتواصل وتغني بعضها بعضًا في إطار احترام متبادل,... إن مجال الأفكار والإبداع لا يخضع إطلاقًا لقوانين "التبادل الحر"، كما أن الميدان الثقافي لا يُحتل كما تُحتل ساحة المعركة... ناهيك عن أن عولمة منظومة القيم من طرف القوة العسكرية العظمى في العالم يُعرِّض هذة الفرصة لخطر داهم؛ وذلك لأن العديد من من الدول الغربية التي نصَّبت نفسها حاميةً لقيم حقوق الإنسان, تنتهك هذة القيم, بشكل سافر, هنا وهناك, وبدون محاسبة ولا عقاب (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧)

وهو نفسه ما أكده **"النَّشار"** حال حديثه عن مدى تأثير العولمة الثقافية على الفرد والأمة مؤكدًا أنه علي الرغم من تعدد آليات العولمة الثقافية وتأثيرها العظيم على المتلقي إلا أن عقل الفرد هو المعني هنا بمادة الثقافة المعولمة، فإذا ما تفاعل بإيجابية مع مادة هذه الثقافة انعزل جزئيًا عن ثقافته المحلية، وأصبح تابعًا للثقافة المعولمة، أما إذا ما وجد في عقله ونفسه ما يرفض تلك الثقافة فإن تأثيرها هنا عليه سيكون سلبيًا إذًا بإمكانه أن يرفضها كلية سواء كان ذلك نتيجة لتمسكه بثقافته القومية المحلية أو لعدم اقتناعه بالقيم التي تروج لها هذه الثقافة المعولمة التي يراد لها أن تكون كذلك. فالمسألة

مرهونة بالاقتناع الذاتي للفرد، ومرهونة بالتالي بإرادة شعب ما بالتخلي عن ثقافته القومية والتنازل عنها لصالح تلك الثقافة الجديدة الوافدة. (م. النشار ٢٠٠٠)

وعلى هذا، فرغم كل عوامل وآليات التقارب الثقافي المعاصرة، ورغم هيمنة الثقافة الغربية في اللحظة التاريخية الحاضرة، فإن الثقافات القومية- في رأي "النَّشار"- ستظل قائمة وستظل تستنهض هِمم أبنائها لمواجهة غزو الثقافة الغربية وهيمنتها وذلك لسببين (النشار. ٢٠٠٣):

(أ) لأن الثقافة الغربية المراد عولمتها هي ثقافة ذات بعد واحد، ويعانى أصحابها ودعاتها ذاتهم من هذا النقص، فضلًا عن أنها ثقافة عنصرية متعالية علي غيرها من الثقافات بإدعاء أنها الأكثر إنسانية وتقدمًا .

(ب) الثقافات الأخرى ثقافات ذات بُعد حضاري عريق أكثر توازنًا في تلبية مطالب الإنسان من الثقافة الغربية، فضلًا عن اعتزاز أصحابها بهوياتهم الثقافية، وقدرتهم علي تجديدها، وتغذيتها بعناصر ثقافية جديدة، مع الحفاظ علي جوهر الثقافة القومية. (النشار. ٢٠٠٣)

(ب) حرب الحضارات أو حرب القيم:

إذا كانت القيم هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الثقافة، فبالتالي، فإن انتهاك قيم العالم العربي والإسلامي هو انتهاك لثقافته، وهذا ما دعا "المنجرة" للقول: "إن أسباب النزاعات المستقبلية ستكون ذات طبيعة ثقافية". (P. Elmandjra 2007)

ففي أكثر من موطِن أعلن "المنجرة" حرب الحضارات القادمة هي حرب القيم، وأن الجمود والتخلف الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي هو الذي أدى بنا إلى فقدان قيمِنا، وكافة عناصر الهوية الثَّقافية ليس الانفتاح. هذا الأخير، إن أُعتبر خيارًا حقيقيًا لن يؤدي يومًا إلى ما يدَّعيه أنصاره (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧)

من زاوية أخرى يرى "المنجرة" أن العالم يعيش حرب قيم، ومن يستطيع أن يفرض قيمه يكن الأقوى حضاريًا، فالاستعمار بعدما رحل عن الدول العربية ظل يواصل دوره لكن بشكل جديد، وهو الاعتماد على الاستعمار الحضاري والثقافي، من خلال عشرات المفكرين داخل وطننا العربي، في الجامعات، الوزارات، السينما والإعلام، هؤلاء حسب "المنجرة" يعملون بوعي أو بدون وعي كآلات لمفاهيم، وقيم ثقافية، وحضارية تغاير النمط الحضاري العربي، وتعمل في اتجاه بوصلة العقل الغربي (بوخاري ٢٠١٧).

"إننا نعيش أزمة أخلاقية حقيقية تُضاعف من الآثار السيئة لكل أنواع الذل، وهي ناجمة عن الفقر، والأميّة، والمرض، وغياب العدالة الاجتماعية الكاملة، وخرق حقوق الإنسان. وحين تبلغ هذه العوامل جميعها الحد الخطر فإن مظاهرها تتجلى للعيان ويختل الاشتغال الاجتماعي وتكثر الانفجارات والعصيان المدني، والحنق الجماهيري التي تؤدي إلى انفجار النظام. وآنذاك يتعلق الأمر بشرخ في الكرامة، وهذا ما أسميه "انتفاضة". (المنجرة.. ٢٠٠٧)

هذه الأزمة دعت "المنجرة" إلى قوله بمبدأ تعدد القيم الثقافية والحضارية، والتي من المفروض أن تحكم أنساق القيم ومنظومة القانون الدولي، عوض إنشائها على لبرلة [تحرر] سياسة القوة وخوصصة [تحجيم وتضييق] العلاقات بين الدول والشعوب والثقافات، فالشمال لا يمكنه أن يستمر في الحياة بتحقيق تواصل مادي فقط بالآلات والبضائع والكلام السياسي الفارغ، وإنما يجب أن ينخرط في مشروع تواصل ثقافي وحضاري مبني على احترام القيم الإنسانية. (المنجرة.. ٢٠٠٧)

كما أوضح "المنجرة" الانتهاكات الصارخة للقانون الدولي، وضرب الشرعية الدولية، والقضاء على مصداقية مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية بعد أن تحولت هذه المنظمات بضغط من دول الغرب من هيئات لحماية السلام إلى قلاع للتخطيط للعدوان والسكوت عليه... إذ لم يظهر من غرب القيم الحضارية والحداثة وحقوق الإنسان سوى وجهه العدواني الصليبي (المنجرة. ١٩٩٥).

2- مخاطر العولمة على الهوية العربية والإسلامية:

لا ريب أن من مخاطر العولمة تحطيم البنية الثقافية للأمة العربية والإسلامية والتي من شأنها أن تؤدي إلى إدخال العالم في دوَّامةٍ من العنف والاقتتال، كردةِ فعلٍ على العدوان الثقافي. وهذا ما حذَّر منه "المهدي المنجرة" منذ ١٩٨٦، عندما أعلنَ بأن الحرب المُقبِلة ستكون ثقافيةً إذا لم تعط الأهمية للقيم والحضارات الأخرى؛ وهو ما أكده صاموئيل هنتنجتن Samuel Phillips Huntington (١٩٢٧- ٢٠٠٨) فيما بعد في كتابه "صدام الحضارات"، ولكن بأسلوب يُحرِّض على المواجهة. (أبو ثور .) ليس مجرد التحريض على المواجهة فقط وإنما تأكيد أن الغرب هو المتقدم حضاريًا، وأن كل العالم الشرقي أقل تحضرًا من الغرب ولا يمكن أن يلتقيا.

ليس هذا فحسب، بل من مخاطر العولمة الغربية المتوحِّشة أيضًا، في رأي المنجرة، فقدان: القيم الثقافية، والتاريخ الحضاري للأمة، ولغتها الأصلية، ويكشف زيف الدعوات البرَّاقة الخدَّاعة بقوله: "إنه تحت ذريعة الانفتاح على الآخر فقدنا قيمنا الثقافية وذاكرتنا التاريخية وماضينا..." (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧).

من أجل هذا لا يرحب "المنجرة" بالعولمة، ولا يحب استخدام هذا المصطلح؛ لما يحويه من حمولات فكرية، وفلسفية، ودلالات سيميائية مضللة، فالعولمة حسبه ما هي إلا فرض لنمط معين من القيم من لدن دول الشمال على دول الجنوب، بتزكية ومباركة من أنظمة وحكومات هذه الأخيرة، وكذا بواسطة أقلام مرتزقة وهبت فكرها وتحليلها لفائدة حكام متواطئين في مرحلة ما بعد الاستعمار مع مستعمريهم القدامى. فبعد انهيار المعسكر السوفياتي أفرغت الساحة أمام صندوق النقد الدولي، ومؤسسات العولمة الأخرى، ومجموعة السبعة الكبار للتحكم في العالم وخلق مرحلة إمبريالية جديدة، يطلق عليها "المنجرة" مرحلة الميغا إمبريالية، والتي حملت عنوان أحد مؤلفاته، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية. (بوخاري ٢٠١٧) (ليكلرك ٢٠٠٤)

جدير بالذكر أن كتابات "المنجرة" تمحورت حول جشع النيوليرالية- الإمبريالية الجديدة المتوحشة- والتي يقول: إنها لا تملك عمقاً ثقافيًا، كما الحضارات الشرقية، فدافع عن حق العالم الثالث في التنمية المستقلة. كما أوضح أن "الغرب متغطرس ثقافيًا؛ لأن فضاءه الزمني التاريخي محدود. فحين تذهب إلى العراق أو الصين، أو إلى أميركا الجنوبية، ثمة ثقافة متجذرة ومتطورة. بينما في الولايات المتحدة تجدُ، في المقابل، الأطعمة السريعة (الفاست فود). إن التقدم العلمي لا يعني آليًا امتلاك ثقافة التواصل مع الآخر. لذلك فإن اليوم العالم يعيش حالة انفجار، وهنا أعود إلى تعبير "الانتفاضة". فالانتفاضة انفجار يحدث حين يبلغ السيل الزبى. ثمة ظلم هائل في العالم، ومن اللازم إيجاد الحلول كي يكون كل الناس رابحين، وكي لا يكون هناك خاسر" (فقيه ٢٠٢٢).

لقد توقع "جان بودريار (بالفرنسية: Jean Baudrillard) (١٩٢٩ - ٢٠٠٧) "[١] (بوردريار ٢٠٠٥) حدوث انتفاضة الفرديات سواء كانت ناعمة إذا أخذت طابع الثقافة واللغة والفن، أم عنيفة إذا كانت انتفاضة دينية أو ثورة جوعى لأجل تحقيق العدالة المسلوبة، وهذا ما يُفاقم صعوبة السيطرة على تلك الدوافع أو احتوائها في قوالب مُقنعة. (الحطاني ٢٠١٥)

لقد أرسى "المنجرة" قواعد ثقافة النظام العالمي الذي ينبغي أن يكون قوامه العدالة، والإنصاف، والكرامة، كما اعتبر أن الأنظمة المُتخلِّفة تسعى دائمًا إلى ترسيخ ثقافةِ العبوديةِ والاستعباد، وممارسةِ الجَوْر والاستبداد، بل هي السبب الرئيس في تخلف شعوبها، والعمل على تكريس ثقافة الخنوع، والخضوع، والتبعية المقيتة لإملاءات صندوق النقد الدّولي وبنك باريس وغيرها صناديق، مما يؤدي إلى انتشار أحزمة البؤس، والفقر، والجهل، واللا أمن، وهذا يتناقض مع كل المواثيق الدولية، فبدون إنسانية الإنسان لا يمكن الحديث عن القيم، لهذا حاول الوقوف إلى جانب الإنسان أينما كان بالحث عن قيمة القيم التي أبرز أنها المسلك الوحيد للقضاء على التَغول الإمبريالي في دول العالم الثالث. بعبارة أخرى، إن العمل على نشر القيم الإنسانية كما يتصوَّرها المنجرة ليست كليشيهات برَّاقة تعمي البصر والبصيرة، وإنما كثوابتٍ يشترك فيها كل الناس كيفما كان عِرقهم، أو جنسهم، أو لونهم، أو دينهم، لكن المهم هو الإنسان في جوهره وعمقه. (لبريني ٢٠١٨)

إذا تأملنا، واقعنا المعاصر، نجد أن هذه المبادئ الإنسانية العظيمة ذهبت أدراج الرياح، فلم تكن لامتنا العربية والإسلامية هوية محددة، بل أصبحت هويتها لا شرقية ولا غربية. لقد اندثرت أخلاق الأمة الحقيقية وتلاشت قوتها وانكسرت شوكتها وعِزتها وفقدت عصبيتها الشرقية- العربية والإسلامية في الدفاع عن أصولها، وكل ذلك بسبب أنها لم تخلق إرادتها بنفسها حتى الآن من ناحية، ولأن أمَّتنَا أبت إلا أن تتخذ دور التابع لا المتبوع، دور المقلِّد لا المبدع، دور تقديس الغرب والنظر إليه باعتباره قبلتنا التي لا سبيل لنهضتنا إلا إذا سبحنا بحمده واتبعناه!

لقد أكدَّ "عبد الوهاب المسيري"، الذي كان محقًا تمامًا فيما ذهب إليه، أن المشروع الحضاري العربي والإسلامي دخل طريقًا مسدودًا من البداية حين عرَّف هدفه بأنه "اللِّحاق بالغرب". فهذا الشعار كان يعني أن يصبح "الآخر" هو الغاية وأن نصبح نحن الوسيلة فنتحول إلى بشرٍ من الدرجة الثالثة في معظم الأحوال ومن الدرجة الثانية في أحسنها (لأن من يصل إلى الدرجة الأولى ينضم "إليهم" بطبيعة الحال). وفي محاولة تحقيق هدف اللِّحاق هذا؛ كان علينا أن نُسكت إبداعنا، ونُسقط قيمنا، ونمحو ذاتيتنا ورؤانا بحلوها ومرها، لنتقبَّل ذاتيتهم ورؤاهم بحلوها ومرها. وتحت شعار الموضوعية أصبحت مهمتنا نقل كل ما يأتي إلينا من الغرب، وبخاصة "آخر صيحة"، ابتداءً بالمدارس الفلسفية وانتهاءً بالسيارات والأزياء، وبذلك سقطنا في شكل من أشكال السلفية الغربية التقدمية ووقعنا ضحية إمبريالية المقولات، أي أن نتبنَّى مقولات الآخر التحليلية ثم نُراكم المعرفة، وننظر للعالم، بل ولأنفسنا، من خلالها. (المسيري ٢٠٠١) رغم هذا، فإن اللحاق بالغرب عبارة ظهرت مع اكتشاف البلاد للتخلف العلمي، ولذا فإن لها جانبها الإيجابي، وينبغي ألا تستخدم خارج إطارها التاريخي.

(١) جان بودريار Jean Baudrillard: منظِّر ثقافي وفيلسوف، ومحلل سياسي، وعالم اجتماع، وهاوي تصوير فوتوغرافي. تصنف أعمال بودريار بشكل أساسي ضمن مدرسة ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية. انظر: جان بودريار: **عالم المعرفة**، https://www.marefa.org/.

من جانبٍ آخر، فقد كان لـ"مصطفى الرافعي" أولوية التقدمَّ على "المسيري" فيما أكده الأخير سابقًا، وذلك في قول الأول:" وهذه مفاسد أوربا كلها تنصب في أخلاق الشرقيين كما تنصب أقذار مدينة كبيرة في نهر صغير عذب؛ فلا الدين بقى فينا أخلاقًا، ولا الأخلاق بقيت فينا دينًا، وأصبحت الميزة الشرقية فاسدة من كل وجوهها في الروح والذوق، ولم يعد لنا شيء يمكن أن يسمى المدنيَّة الشرقية، وأخذ الحمقى والضعفاء منَّا يحاولون في إصلاحهم أن يؤلِفوا الأمة على خُلقٍ جديد ينتزعونه من المدنيّة الغربيّة، ولا يعلمون أن الخُلق الطارئ لا يُرسَّخ بمقدار ما يُفسد من الأخلاق الراسِخة". (الرافعي .)

هنا نجد "الرافعي" يرفض رفضًا قاطعًا طمس هوية الأمة من خلال السير وراء الغرب على قدم وساق وتقليده تقليدًا أعمى، وله الحق في ذلك، فلا ينبغي للأمة أن تطمس ملامح وجهها من أجل أن ترتدي قناع الغرب المزيَّف.

وليس "النَّشار" ببعيد عن كل هؤلاء المفكرين، في رفضه لطمس الهوية العربية والإسلامية ووقوفه دائمًا ضد الدعوات التغريبية سواء في كتبه أو أبحاثه ومقالاته، والتي كان آخرها في ظل أزمة الاحتلال الصهيوني لفلسطين وما سببه من جرائم في حق الإنسانية بعد يوم السابع من أكتوبر لعام ٢٠٢٣م، وما فعله الكيان الصهيوني المحتل من قتل للأطفال والنساء وتدمير للمنازل والمستشفيات بطريقة هيسترية وحشية.

وقد تصدى لكل ذلك في مقالاته في جريدة الوفد والتي منها مقاله: طوفان الأقصى.. وغياب الدعم العربي! والذي ذكر فيه قائلًا: "لقد أصبح الكيان العربى مفككًا وضعيفًا لدرجة أنه من الأفضل إعلان وفاته إن لم ندخله غرفة الانعاش فورًا! ونستبدل ما يسمى بالجامعة العربية باتحاد فيدرالي عربي قوى قادر على حماية كل الشعوب العربية ومصالحها من التدخلات الأجنبية، قادر على توظيف كل الإمكانيات العربية لصالح شعوبها وليس لصالح قوى خارجية تحت دعوى الحماية! ففى النهاية لن يحمي العرب إلا العرب! فهل آن أوان للاستفاقة العربية الحقيقية وتكوين «اتحاد الدول العربية» الذى دعوت إلى إنشائه فى كتابى «الأورجاون العربى للمستقبل» منذ عام ٢٠١٤م! أتمنى ذلك قبل فوات الأوان وضياع الأوطان!". (النشار ٢٠٢٣) (م. النشار ٢٠١٤)

كما كشفت الأحداث الأخيرة على غزة – من وجهة نظر النَّشَّار- عن وجه الغرب وأمريكا القبيح الذي يتستر خلف إدعاءات كاذبة ومزيفة، ويدعو إلى مزيد من الوعي فيقول: "أعتقد أنه من الآن فصاعداً لن يصدق أحد في العالم الواعي كل مزاعمهم عن حقوق الإنسان واحترام الحريات، لن يصدق أحد مزاعمهم عن أنهم حراس وحماة الحريات وحقوق الإنسان في العالم! . (النشار ٢٠٢٣)

لقد كتبت عقب الحرب الأمريكية على العراق كتابي «حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى» وأوضحت فيه بجلاء أن حقوق الإنسان التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وملاحقه تنتهك كل يوم ممن يدّعون أنهم حراسها وحماتها، وكشفت عن أننا نعيش بالفعل عصر «الأضداد العشرة» بمعنى أن كل حق مما نتشدق به نظرياً يتم انتهاكه فى الممارسة العملية فى الواقع! وكان ملحق الصور الذى وضعته في نهاية الكتاب هو الدليل العملي الدامغ على صحة التحليل النظري! وهاهى الممارسات الحالية لإسرائيل ومؤيديها تعيد تأكيد ما قلته في ذلك الكتاب، وتكشف عن مدى وحشيتهم ووحشية من يدعمونهم بالمال والسلاح ويقفون معهم بلا كلل ولا ملل، ولا وعى بأنهم إنما يدعمون إرهاب دولة، وجيشها المدجج بكل أنواع الأسلحة الفتاكة ضد شعب أعزل يدافع عن أرضه وعرضه، وكل ما يطمح إليه هو حق الحياة والتحرر من الاحتلال!. . (النشار ٢٠٢٣) (النشار ٢٠٠٥)

نتيجة لما سبق يمكننا أن نتساءل، كيف يمكننا الخروج من أزمة ثقافتنا الراهنة؟

رابعًا، الحلول العملية للخروج من أزمة الثقافة:

يمكننا حصر فكرة الخروج من مأزق أزمة الثقافة العربية والإسلامية من منظور فكر "المنجرة" باتِّباع سبيلين رئيسين: أحدهما، المواجهة؛ وتكون بمواجهة الثقافات الوافدة التي تهدف للهيمنة والسيطرة على ثقافتنا، والآخر، المحافظة؛ ويكون باستعادة روح حضارتنا بالمحافظة على قيمنا، ولغتنا، مع التحلي بالوعي، والعلم.

فيما يخص السبيل الأول (المواجهة)، يرفض "المنجرة" فكرة الهيمنة الثقافية الاستعلائية، ويرى أن الثقافة الغربية ينبغي أن تتعامل مع جميع سكان العالم على سواء، خاصةً فيما يتعلق بالاحترام المتبادل، والمساواة في الحقوق والواجبات بين الجميع، وهذا ما ذكره في قوله: "في اليوم الذي ستتساوى فيه حياة أمريكي وحياة إسرائيلي مع حياة أي مواطن من ساكنة العالم الثالث بصفة عامة، وحياة عربي ومسلم بصفة خاصة؛ سنقترب حتمًا من هذه الكونية التي يتبجَّحون بها؛ لكن الاعتداءات الوحشية الإسرائيلية تبين المسافة البعيدة التي تفصلنا عنها. (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧)

هذا ما أكده الدكتور "إبراهيم السكران" من أن المثقف المسلم لا يرضى بأن يكون رقيقًا لمستبدٍ سياسي يُشرعن أوامره الهِرقْليَّة، ولا رقيقًا لمستبدٍ ثقافي يُشرعن ثقافته الليبرالية. (السكران ٢٠١٦)

علاوة على ذلك، ذهب "المنجرة" إلى أن التواصل الثقافي مع الشعوب الأخرى هو القنطرة لتحقيق السلام، لذا يقول: "إن الحل الوحيد لضمان السلام هو تحسين التواصل الثقافي بين الشعوب والحضارات". (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧) إن هذا يجعله في مصاف دعاة التعددية الثقافية دون إفراط أو تفريط.

يردف "المنجرة" قائلًا: "كتبت هذه السطور ونحن نصطلي بنار "حرب قيم" شرسة تشكل امتدادًا وحشيًا وهوسيًا لـ"الحرب الحضارية الأولى". وهكذا, فإن مستقبل الإنسانية سيكون, بلا ريب, رهينًا بالقيمة التي سنمنحها للحياة الإنسانية دون تمييز، وفي إطار احترام متبادل للقيم باعتبارها تمثل تلك "الجينة" التي تضمن للإنسانية استمراريتها وبقاءها في ظل الكرامة. ومن هنا أهمية الحديث عن "قيمة القيم"". (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧)

إن كل هذا يشير إلى أن القيم هي أغلى مصدر للتحليلات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. إنها تساعد على فهم "الهدف" بشكل منهجي. فإذا "إذا كان هناك هدف، فثمَّة نظام" (P. Elmandjra 2007).

أما السبيل الآخر (المحافظة)، فقد رأى "المنجرة" أن الحل العملي للخروج من أزمة الثقافة العربية والإسلامية، إضافة لمواجهة الغزو الثقافي الوافد والمفروض علينا، من خلال عدة عوامل أهمها: عمل "المنجرة" على تسخير كتاباته ضد ما أسماه بـ"العولمة الجشعة"، والسعي إلى تحرير الجنوب من سيطرة الشمال. وأن سبيل (المحافظة) في رأيه لن يتحقق إلا إذا استوفينا شروط التنمية الثلاثة الرئيسة وهي: القضاء على الأمية، والاهتمام باللغة الأم بوصفها حارسة الثقافة ووعاء الوعي، وأخيرًا، دعم البحث العلمي.. (الشيال ٢٠١٥)

بالنسبة للقضاء على الأمية، فقد رأى أن الجهل من أخطر الأسلحة التي تواجه الأمة؛ لأن الأمة الجاهلة يسهل غزوها، واختراق ثقافتها، ومبادئها، وقيمها وأخلاقها، وعاداتها وتقاليدها، وأوضح "المنجرة" أن نسبة الأمية في العالم العربي تفوق ٥٦٪ من سكانه. (المنجرة. ١٩٩٥)

أما فيما يخص اللغة العربية بوصفها أهم أسس قيام الحضارة، فإذا أردنا أن نتقدَّم خطوة إلى الأمام ويتحقق لدينا الإقلاع الحضاري الشامل، وجب علينا أن نحمي قِيَمنا الثَّقافية، ونحفاظ على لغتِنا الأصلِّية ونوظِّفَها للغرض نفسه. وقد أعطى "المنجرة" مثالًا حيًا لذلك، وهو النموذج الأسيوي الذي أدرك أهمية القيم الثَّقافية، فحافظ عليها وأصبح التعليم العلمي والتِّقني والجامعي عندها يتم باللغات المحلية". (ا. المنجرة، قيمة القيم ٢٠٠٧)

بالتساؤل: لماذا ركزَّ "المنجرة" على ضرورة الحفاظ على اللغة تحديدًا؟ لأنها، في رأيه، السبيل للحفاظ على الهوية، والثقافة، والتاريخ الحقيقي للحضارة العربية والإسلامية. ومن هذا المنطلق لا بُدَّ أن يوضع في الحسبان أن اختفاء أي لغة؛ يعني انكماش وتقلص الثورة الفكرية والمعلومات التي يخزنها الإنسان ويعبِّر عنها عن طريق اللغة". (أبو ثور .)

يستنكر "المنجرة" قول إن التعريب صعب، وصعب أن نستعمل اللغة العربية في تعليم الكيمياء والبيولوجيا، فهذا كلام لا أساس له، لأن التجارب في العالم بأسره برهنت أنه وبدون الاعتماد على اللغة الوطنية، وبدون لغة الأم في تعليم العلوم، لن يكون هناك تقدم حقيقي، وأستطيع أن أقدم لك نماذج من: كوريا، وتايوان، واليابان، وماليزيا، والصين، وغير ذلك (بوعلي ٢٠١٢) نقلًا عن (المنجـرة ١٩٩٦)

صحيح أنه لا يستطيع أحدٌ أن يتجرَّد من سطوة اللغة أو الثقافة أو الأهواء بشكل كامل، لكنَّ ضعفَ استيعابِ اللغة وأسرارها أو عدم تشرُبِّ الثقافة إيمانًا، وعملًا، وانتماءً أو اتِّباع الهوى، كل هذا أو بعضه يؤدي إلى فساد ما قبل المنهج حتى يصبح ركامًا من الأضاليل، وحتى تفسد حياتنا الأدبية. مع ذلك، فإن الذي يعصم الباحث من مخاطر قصور إدراك اللغة أو مخاطر الأهواء هو "الثقافة" التي يتشرَّبها المرء حتى تصبح جزءًا من كيانه يؤمن بها وينتمي إليها،... ورأس كل ثقافة هو "الدين" بمعناه الواسع. (شاكر ١٩٩٧)

أما فِيمَا يَخْتَصُّ بدعم البحث العلمي، فقد أكد "المنجرة" على ضرورة قيام المثقفين العرب بربط الثَّقافةِ بالعلمِ في قوله:"إن التِحام العلمِ والثَّقافةِ هو السبيلُ الوحيدُ الذي يقدِّمُ ضمانًا للبقاءِ بكرامةٍ، وليس بأي ثمنٍ يحدده آخرون. إنه الكيفية لإعادة اكتشاف الانسجام داخل النِّظام والفوضى سواء في الميدان الفيزيائي أم الروحي. إنه ليس فقط مفتاح القرن الحادي والعشرين، بل هو أيضًا سلامُ الإنسانِ مع نفسهِ وبيئتهِ" (المـنـجرة ٢٠٠٢)

على هذا الأساس، ينبغي العدول عن ربط الحداثة بالتغريب، والإمساك عن عزل العلم عن الثقافة، والإحجام عن الاعتقاد بأن هنالك نموذجًا فريدًا للتنمية يكمن مفتاحه في تكنولوجية تدعى الحياد. بل على العكس، من العاجل الاعتراف بأن العلم والثقافة جدٌ مرتبطين، وأن استمرارية الحياة على الأرض تمر عبر القبول بالتنوع الثقافي، ذلك الشرط الضروري للحوار واللازم ترسيخه كي تجمع الإنسانية على برنامج للبقاء. (المنجرة. ١٩٩٥م،)

من هذا المنطلق ربط المنجرة" بين العلم والثقافة حتى أنه تبنى فكرة أن التنمية لا يمكن تحقيقها إلا عندما يصبح العلم ثقافة. ولكي يصبح العلم ثقافة، لا غنى عن مدخلات القيم وعمليات التعلم. ((Elmandjra (June, 2004)

ولمّا أضحى العلم والثقافة من الآن فصاعدًا المحددين الأساسيين للنظام الدولي. ودون الرجوع إلى السياق الثقافي لا يمكننا بتاتًا فهم العلم والتكنولوجيا. لقد ولىَّ زمن "العلم من أجل العلم"، و "الفن من أجل الفن". والقرن الواحد والعشرون يفرض صيغة ثقافية واجتماعية أحسن تحديدًا، لا تستطيع البقاء تحت وهم "العالمية" و"الحياد" للعلم والتكنولوجية. وأنه حسب "إيليا بريغجون" الذي ذهب إلى أن قضايا ثقافة يمكن أن تؤثر على تطور النظريات العلمية، وأضحى من العاجل أن يُتعرَّف على العلم كجزءٍ لا يتجزأ من الثقافة التي تطور بين أحضانها... المشكلة أن الغطرسة لا تكمن في العلم، بل في النسيج الثقافي الذي يرعى ذلك العلم(المنجرة. ١٩٩٥م،)

علاوة على ما سبق، فإن أفضل طريق لحل أزمتنا الثقافية هو طريق التغيير الذي يشبه عملية التدخل الجراحي التي كلما تأخرت كانت نسبة نجاحها أقل، وعن هذا التأخير قال "المنجرة": "إنه سيؤدي في النهاية إلى انفجار سلبي سندفع عليه الثمن، وكلما تأخر الوعي بهذه القضية كلما سيرتفع الثمن. هذا هو تاريخ الإنسانية وتاريخ المجتمعات... فعدم الوعي هو الخطر الأكبر".. ويقول: "إننا إذا أردنا أن نُعرِّف التخلفَ تعريفًا واضحًا فلن نزيد عن أنه الإهمال المُتَعمَّد للعنصر البشري (الشيـال ٢٠١٥).

وفي هذا الإطار رأى "المنجرة" أن أهم مسئولية تقع على كاهل المثقف العربي لمواجهة نقل ثقافة التكنولوجيا الغربية هي:

١- الجديّة والجدوى والإيمان بالذات والنقد الذاتي للنفس لتطهيرها وتطويرها، وعدم غشها وخداعها، وهذا النقد واجب على كل فرد أو مسئول أوحكومة أو مجتمع.

٢- الاستقلال الحضاري والثقافي وعدم الاعتماد على الغير لدرجة تصل إلى أن نكون عالة على غيرنا.

٣- الحرية، ويمكنني القول إن ٩٥٪ من أسباب عدم وجود حرية في بلدان العالم الثالث ليست مسئولية الحكومات، بل عن الرقابة الذاتية، وأن الفرد في هذه المجتمعات أسير نفسه، وأن ٩٥٪ من المسئولين الذين يمكنهم التغيير يؤثرون الهناء وعدم الخوض في المشاكل.

٤- القضاء على الفجوة التي بين رجل الشارع وصنَّاع القرار في البلاد المتخلفة، وهذه مهمة المثقف؛ وذلك بمحاولة رفع مستوى تفكير رجل الشارع من جهة، ومن جهة أخرى، يقوم بنقد بنَّاء يواجه به المسئولين، وفي ذلك نهي عن المنكر وأمر بالمعروف كما جاء به الإسلام. (المنجرة. ١٩٩٥)

قريب من هذا الرأي قول "إدوارد سعيد Edward W. Said (١٩٣٥ - ٢٠٠٣)" الذي ذهب إلى أن دور المثَّقف هو أن يُعارض؛ لأنني عندما أكون معارضًا يكون بوسعي أن أُمحِّص، وأن أحكم، وأن أنتقد، وأن أختار على نحو يجعل من الاختيار والمداخلة أمرين يعودان إلى الفرد، فمن المهم أن تكون جزءًا من كلٍ آخر، من مجتمع لا يمتلك اهتمامات محزومة سلعية، وأهدافًا تجارية مربحة ماثلة نصب عينيه. (سعيد ٢٠٠٧)

إذا كان هذا صِنف جيد من المثقفين إلا أننا نجد في المقابل صِنفًا آخر من المثقفين سمَّاهم "المنجرة" بـ"المثقفين المرتزقة" الذين باعوا أنفسهم بثمن بخس، ورضوا لأنفسهم الذل والتبعية إلى درجة وصلت بهم إلى تغيير الحقائق وتزييفها لصالح أسيادهم الغرب، وقد طالب "المنجرة" بوضع أسمائهم في قائمة ولا سيما مثقفي المغرب العربي! (المنجرة. ١٩٩٥)

خامسًا، هل تحققت نبوءة "المنجرة"؟ وهل نجحنا في تجاوز تلك الأزمة أو لا؟

السؤال بطريقة أخرى، هل نجحت الحضارة الغربية في هيمنة ثقافتها على دول العالم الثالث؟

رغم كل عوامل وآليات التقارب الثقافي المعاصرة، ورغم هيمنة الثقافة الغربية في اللحظة التاريخية الحاضرة، فإن الثقافات القومية ستظل قائمة وستظل تستنهض هِمم أبنائها لمواجهة غزو الثقافة الغربية وهيمنتها وذلك لسببين:

الأول، لأن الثَّقافة الغربية المراد عولمتها هي ثقافةٌ ذات بعدٍ واحدٍ، ويعانى أصحابها ودعاتها ذاتهم من هذا النقص، فضلًا عن أنها ثقافة عُنصريّة مُتعاليَّة علي غيرها من الثقافات بإدّعاء أنها الأكثر إنسانية والأكثر تقدُّمًا.

الآخر، الثَّقافات الأخرى؛ ثقافات ذات بُعد حضاري عريق أكثر توازنًا في تلبية مطالب الإنسان من الثَّقافة الغربيةِ، فضلًا عن اعتزاز أصحابها بهويَّاتِهم الثَّقافية، وقدرتِهم علي تجديدها، وتغذِّيتها بعناصر ثقافيةٍ جديدةٍ، مع الحفاظ علي جوهر الثَّقافة القوميَّة. (زكيـر ٢٠١٦)

إن ما نشهده الآن على الساحة الفكرية يؤكد صدق ما تنبَّأ به "المنجرة"؛ من تبعية مقيتة للثقافة الغربية، وانحدار للثقافة العربية والإسلامية بعد أن تخلَّت عن عزتها وكرامتها، وألقى كثير من المثقفين العرب بأنفسهم في أحضان الثقافة الغربية، بعد أن أُشربَت قلوبهم بها، وخلعوا عباءة قيمهم وثقافتهم، واستبدلوا الذي هو أدنى (الثقافة الغربية المتوحشة) بالذي هو خير (الثقافة الإسلامية الناصعة الساطعة)، وتخلَّقوا بأخلاق الذل والخوف والتبعية.

نستنتج مما سبق، أن "المنجرة" مفكر من طرازٍ فريدٍ؛ وذلك لإيمانه بمبادئه وأفكاره، قولًا وفعلًا، فهو مؤمن بما يكتب، ولا يكتب إلا ما يؤمن به، فلا سلطان للثقافة الغربية عليه، وإنما ولاؤه الأصيل لثقافته العربية والإسلامية الخالصة.

على هذا استحقَّ أن يكون "المنجرة" مفكرًا بارزًا، وعالمًا فذًا، عدَّه بعض المفكرين نموذجًا للمثقف القدوة الذي يحمل همَّ الأمة، كما رأى فيه آخرون رجل المبادئ الصَّلب الذي لا يعرف المواءمات. (الشيـال ٢٠١٥)

سادسًا، الخروج من أزمة ثقافتنا العربية والإسلامية في رأي "النَّشَّار"

كما أن من عوامل الخروج من أزمة ثقافتنا العربية والإسلامية أيضًا في رأي مفكرنا "النَّشَّار" ضرورة الرجوع إلى الشورى وسماع أصوات الشعوب فيقول: "ينبغي علي زعامات العالمين العربي والإسلامي الآن واجب الإنصات إلي صوت شعوبهم، وإلي صوت العقل والحكمة، وتغليب المصلحة العربية الإسلامية علي مصالحهم الشخصية". (النشار. ٢٠٠٣)

إذا كان "النَّشَّار" يؤكد على مدى أهمية دور الشعوب في هذا الجانب إلا أن الواقع العملي يشير إلى أن الكثير من الحكام العرب لا يسمعون إلا ما يرضيهم -وإن شئت فقل ما يرضي الطاغوت الأمريكي- بعد أن فقدنا حريتنا وهويتنا وسرنا تبعًا، بل وأذلاء لأمريكا وذلك لاستعبادها لنا؛ بسبب معونتها وتمويلها لنا من خلال صندوق النقد الدولي. ولكن لم يوضح فيلسوفنا ماذا ينبغي على الشعوب أن تفعل إذا رفض الحكام الإنصات لصوت العقل والحكمة وغَّلبوا مصالحهم الشخصية على المصلحة العربية والإسلامية؟

كما أجمل "النَّشَّار" أسباب النهوض الثقافي والحضاري في عدة ركائز كما جاء في كتابه "الأورجانون العربي للمستقبل" هي (م. النشار ٢٠١٤)

١- بناء نظام تربوي وتعليمي جديد.

٢- النهوض بالبحث العلمي.

٣- التحول إلى عصر مجتمع واقتصاد المعرفة.

٤- إصلاح وتحديث الخطاب الديني.

٥- تحقيق طفرة نهضوية وحدوية على الصعيدين السياسي والاقتصادي.

مستقبل التفاعل الحضاري فيما بعد العولمة في رأي النشار:

أما عن مستقبل التفاعل الحضاري فيذهب "النشار" إلى أنه بعد الانتهاء من الحديث عن انهيار عصر العولمة، وتفكك عناصره؛ الاقتصادية، والثقافية، والمعرفية بدأت القيادات والشعوب تسلم باستحالة تحقق الثقافة العالمية الواحدة والسوق العالمية الواحدة....الخ، وبدا في الأفق الاتفاق علي نقض كل ذلك، والعودة إلي الجذور؛ القومية، والأممية، والحضارية المختلفة. وفي إطار ذلك يتساءل فيلسوفنا إذا سلمنا بذلك فماذا عساها أن تكون صورة المستقبل؟ ويجيب عن هذا التساؤل بقوله: إن قراءة صورة المستقبل لا تخرج عن ثلاثة احتمالات: (النشار. ٢٠٠٣)

الأول- احتمال نشوب صراع يأخذ صورة الصدام المُسلح مثل: الصدام بين الصين والولايات المتحدة .

الثاني- احتمال يري أصحابه أن الحوار السلمي كفيل بإزالة أسباب الصراع التصادمي (مثل حوار روجيه جارودي) .

الثالث- احتمال مزيج من الاحتمالين السابقين؛ حيث إن الصراع التصادمي والحوار المترتب عليه يمكن أن تحدث من خلالهما تفاعلات تؤدى إلى بروز قوى جديدة لا يهيمن عليها قطب عالمي واحد أو قطبين بل تتعدد فيه الأقطاب.

فبالنسبة للاحتمال لأول يري "النشار" أن الغرب لن يتنازل عن عصبيته، وكبريائه، وهيمنته، وهذا يحيلنا إلى الاحتمال الثاني فلم يعد هناك بديل إلا الحوار الذي يغذيّه تكافؤ القوى المتحاورة عن طريق امتلاك كل قوة لعناصر تفوق تمكنها من فرض رأيها علي الآخر، أو علي الأقل، تمكنها من أن يستمع إليها الآخر الغربي، ويقدر العواقب السلبية المترتبة علي محاولته فرض هيمنته وتحكمه. وهذا ما نراه البديل الأكثر واقعية والأكثر احتمالًا في مستقبل التفاعل الحضاري، وخاصة بعد انهيار خطاب العولمة. وبالنسبة للاحتمال الثاني أيضًا، نجد فيلسوفنا يتفق مع "روجيه جارودي" في التأكيد بأن المستقبل الأفضل للجميع لن يكون إلا بتغيير جذري لعلاقات الشمال مع الجنوب، مع وضع نهاية لسيادة الغرب لتبعية الجنوب. (النشار. ٢٠٠٣)

أما عن الاحتمال الثالث فيؤكد "النَّشَّار" أننا نعيش عالمًا يسوده صور جزئية للصراع، وإن كانت بتدبير محكم من القوة والسيطرة، كما نعيش حالة من الدعوة للحوار وهي أيضًا تسير وفقًا لما يحقق مصلحة هذه القوة المسيطرة نفسها (وهذا ما سماه بالحالة السكونية الظاهرة). (النشار. ٢٠٠٣)

نتائج البحث

من خلال الإجابة عن تساؤل البحث الرئيسِ: كيف استطاع "المنجرة" و"النَّشَّار" أن يُشخِّصا الأزمة الثقافية في عالمنا العربي والإسلامي؟ توصلنا إلى النتائج التالية:

أولًا، استطاع المفكران العظيمان "المنجرة" و"النَّشَّار" أن يُشخصا أزمة الثقافة العربية والإسلامية، انطلاقًا من واقعيتها إلى رسمهما صورة استشرافية عن مستقبل الثقافة في عالمنا العربي والإسلامي بصورة تميزت بالجرأة والشجاعة.

ثانيًا، اتفق "المنجرة" و"النَّشَّار" معًا في عدة جوانب؛ منها ارجاعهما أزمة الثقافة العربية والإسلامية إلى أسباب عدة أهمها: الانبهار بالثقافة الغربية بوصفها الثقافة الغالبة، بالإضافة إلى ثقافة الخوف والذل والتبعيّة التي اتسم بها المثقف العربي، مع غياب الوعي والعلم.

ثالثًا، حذَّر "المنجرة" و"النَّشَّار" من الانصياع لقيم العولمة البراقة وشعاراتها المُنَمَّقة، وأوضحا مدى رغبتها في الهيمنة على مختلف ثقافات شعوب العالم وسيطرتها عليها.

رابعًا، أوضح "المنجرة" و"النَّشَّار" مسارات الثقافة العربية والإسلامية ودعوات تقزيمها، وكيف أن الحرب الحضارية الثقافية التي شنتها أمريكا هي حرب القيم.

خامسًا، آمن "المنجرة" و"النَّشَّار" أن الحل للخروج من أزمة الثقافة العربية الإسلامية يكمن في الوعي، وانصهار العلم في الثقافة.

سادسًا، دعا "المنجرة" لفكرة التعددية الثقافية والانفتاح على الآخر، ولكن بشرط أن تحفظ لكل أمة هويتها الثقافية، وهو ما أكده "النَّشَّار" في مختلف كتاباته.

سابعًا، آمن "المنجرة" و"النَّشَّار" أن الإسلام يقوم على التحررية كنظرية ضد كل مظاهر الاستيلاب الثقافي واللغوي دون مجاملة أو مواربة؛ لاعتقاده أن التمسك بالهوية العربية والإسلامية هو الملاذ الأخير للتحرر من قيود الاحتلال الغربي.

ثامنًا، ركزَّ "المنجرة" على فكرة أن التنمية الشاملة والحقيقية لا يمكن تحقيقها إلا عندما يصبح العلمُ ثقافةً. وقد أكد "النَّشَّار" على ضرورة الاهتمام بالعلم والبحث العلمي والمفكرين العرب.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا، المصادر والمراجع الأجنبية:

(1) Mahdi Elmandjra, Sao Paulo (June, 2004) Culture**: Key Survival Factor for Mankind**, Forum Cultural Mundial 2004 Culture and Social Development: Dividing Responsibilities Sao Paulo, Brazil (26-06 to 04-07-2004), (Morocco).

([2]) Par Mahdi Elmandjra: **Afrique, lève-toi!**, Novembre 2007 l Afrique Asie.

ثانيًا، مصادر المنجرة:

أ- الكتب:

(١) المهدي المنجرة: **الحرب الحضارية الأولى**، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة المصرية الأولى، ١٩٩٥.

(٢) .....: **الإهانة في عهد الميغا إمبريالية**، الطبعة الخامسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٧.

(٣) .....: **قيمة القيم**، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الرباط، ٢٠٠٧.

(٤) .....: **عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري**، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠١١،

ب- الدوريات (المجلات والبحوث):

(٥) المهدي المنجرة: **انصهار العلم والثقافة مفتاح القرن الحادي والعشرين**، ترجمة: محمد بريش، مجلة الهدي، عدد ٣١، ذو القعدة ١٤١٥هـ - ابريل ١٩٩٥م.

(٦) المهدي المنجرة قضايا التربية والتعليم بالمغرب، حوار مع مجلة عالم التربية، العدد ٢، ٣ (١٩٩٦).

(٧) المهدي المنجرة: **الالتحام بين العلم والثقافة؛ مفتاح القرن الواحد والعشرين، الثقافة والمثقف في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٢ ص ١٥٩.

ثالثًا، مصادر النَّشَّار:

أ- الكتب:

(٧) مصطفى النشار: **في فلسفة الثقافة**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠،

(٨) مصطفى النشار: **ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري وموقعنا منه**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣.

(٩) مصطفى النشار: **حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظري والواقع العملي**، القاهرة، الدار المصرية السعودية، ٢٠٠٥.

(١٠) مصطفى النشار: **الأورجانون العربي للمستقبل**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤.

ب- الدوريات (المجلات والبحوث):

(١) مصطفى النشار: **طوفان الأقصى.. وغياب الدعم العربي!** الوفد، بتاريخ: الجمعة ١٣/أكتوبر/٢٠٢٣، https://www.alwafd.news/5192259

(٢) مصطفى النشار: **المؤامرة الصهيو أمريكية على فلسطين ومصر،** جريدة الوفد، بتاريخ: الجمعة ٢٠/أكتوبر/٢٠٢٣، https://www.alwafd.news/5192259

رابعًا، الكتب المترجمة:

(١٣) إدوارد سعيد: **الثقافة والمقاومة،** حاوره: دايفيد بارساميان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، مراجعة، محمد شاهين، دار الآداب، بيروت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

(٤) جان بودريار: من الكلي إلى المفرد: عنف العالمية، في: **القيم إلى أين؟** ترجمة: زهيدة درويش جبور وجان جبور، مراجعة: عبد الرازق الحليوي، إشراف: جيروم بندي، دار النهار للنشر، منشورات اليونسكو، بيروت، ٢٠٠٥.

(٥) جيرار ليكلرك: **العولمة الثقافية: الحضارات على المحك،** ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

(٦) دنيس كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية،** ترجمة: منير السعيداني، مراجعة، الطاهر لبيب، المنظة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٣١

خامسًا، الكتب العربية:

(٧) إبراهيم عمر السكران: **سلطة الثقافة الغالبة،** دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٦.

(١٨) جميل أبو العباس زكير: "ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري" للدكتور مصطفى النشار دراسة تحليلية"، بحث في كتاب: **من النقد الفلسفي إلى فلسفة النقد قراءة في مؤلفات مصطفى النشار الفلسفية،** إعداد مجموعة مؤلفين، تصدير: حسن حنفي، تقديم وإشراف: عصمت نصار، إعداد وتحرير، محمد ممدوح، دار ابن النديم، القاهرة، ٢٠١٦.

(١٩) .....: **مستقبل النظام العالمي الجديد بين حقيقة العولمة والهيمنة الميغا إمبريالية في فكر المهدي محمد المنجرة،** مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب جامعة المنيا، المجلد ٨٨، العدد ١، ٢٠١٩، ص٢٥٤.

(٢٠) عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة ابن خلدون،** تحقيق: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٣ ، ص١٩٢.

(٢١) عبد الوهاب المسيري: **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، رؤية حضارية جديدة،** تقديم، محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة،٢٠٠١.

(٢٢) محمد حسن خليفة: **آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية،** عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

(٢٣) محمد عمارة: **التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

(٢٤) محمود محمد شاكر: **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة المصرية الأولى، ١٩٩٧.

(٢٥) مسفر بن علي القحطاني: **صِدام القيم؛ قراءة ما بعد التحولات الحضارية**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص ٣٢.

(٢٦) فؤاد بوعلي: **النقاش اللغوي والتعديل الدستوري في المغرب**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سلسلة دراسات وأوراق بحثية، كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢.

سادسًا، الأبحاث والمقالات الإلكترونية:

(٢٧) أمل نصر: **فكرة التواصل الحضاري كما طرحها فلاسفة الغرب٢-٢**، الرأي، بتاريخ: ٢٠٠٦/٥/١٩، الدخول: ٢٠٢٣/١٠/٨.https://alrai.com/article/168029.

(٢٨) رشيد أبو ثور: **احترام التنوع الثقافي من مستلزمات التكامل الحضاري**، مجلة الرياض، المغرب، تم الدخول: ٢٠٢٢/٩/٢١. http://iid-alraid.com/Abwab/Research.php

(٢٩) صالح لبريني: **الباحث المهدي المنجرة... رؤية تنتصر للإنسان**، عن جريدة القدس العربي، بتاريخ: ١١ يوليو ٢٠١٨. تم الدخول: ٢٠٢٢/٨/٢١. https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF

(٣٠) **عبد الحميد بناني وبالإجماع رئيس لمؤسسة المهدي المنجرة للفكر**، إيطاليا تلغراف، بتاريخ: ٢٢ مارس ٢٠٢٠، تم الدخول: ٢٠٢٢/٩/٢٤. https://italiatelegraph.com/news-23261

(٣١) لحلو بوخاري: **المهدي المنجرة في ذكرى رحيله**، الجزيرة، بتاريخ: ٢٠١٧/٦/٧. تم الدخول: ٢٠٢٢/٩/٢٢. https://1-a1072.azureedge.net/blogs/2022/9/7

(٣٢) ماهر الشيال: **المهدي المَنْجَرَة.. بصيرة العالم وكرامة الثائر**، مجلة أصوات، بتاريخ: ٢٨ مايو ٢٠٢١، تم الدخول: ٢٠٢٢/٩/١٥. https://aswatonline.com/2021/05/28/.

(٣٣) محمد علي فقيه: **مهدي المنجرة... عن علم المستقبليات وحرب الحضارات وتحرير فلسطين**، الميادين، بتاريخ: ٢٠٢٢/٧/١٨. تم الدخول: ٢٠٢٢/٩/٢٢. https://www.almayadeen.net/Blog

(٣٤) مصطفى صادق الرافعي:" **نهضة الأقطار العربية وتخلصها من أوهام السياسة وخرافاتها.. القلوب والأدمغة هى أساس النهضة الصحيحة الثابتة"**، مقال، تم الدخول ٢٠٢٢/١٠/٢٢، http://lahodod.blogspot.com/2010/06/1_9470.html

(٣٥) موقع أرشيف تم الدخول: ٢٠٢٢/٨/١ https://archive.org/details/awlamat_al-awlama.